الانطلاق

٢٠٣٨

obeikandl.com

ما قبل الانطلاق

مرت على غيث فاجعة في أسرته مع بداية العقد الرابع من عمره حين فقد أمه الغالية إلى قلبه. أثر ذلك في نفسه ونفس أبيه الذي بدا عليه الهرم والضعف. كانت الأيام التالية لفقدها أليمة عليه.

كانت أمه ملء سمعه وبصره، بل كانت شعلة الحياة في البيت الذي بدا كئيباً حزيناً موحشاً.. وبقي أياماً يجتر أحزانه ذاهلاً هو وأبوه، لم يكونا يتصوران أن يقتطف الموت بهذه السرعة هذا الركن الركين في الأسرة..

سارة عزّته بكل ما تستطيع من حرارة.. لم تتركه يوماً وهي تبعث إليه رسائل تقوّي من عزمه،

obeikandl.com

وذكرت له كيف نشأت في أسرتها يتيمة الأب، فكفلها أخوها الكبير ورفع آلامها وأحزانها الأليمة.. كان أخوها يقول لها دوماً، وكلما تفتح وعيها أكثر:

يا سارة نحن مؤمنون.. نتجاوز الحزن إلى ما يرضي الله من العمل والحياة الكريمة القوية التي لا تعرف التخاذل.

كانت كلماتها بلسماً على جرح غيث.. رأى في عقلها ما دفعه إلى ترتيب حياته الجديدة وحياة أبيه الذي يحتاج اليوم إلى أن يقوم ببره أكثر، وخصوصاً في هذا العمر. وأن يعوضه عن فقدان ربة البيت.

تبادل غيث وسارة رسائل كثيرة كان منها: أننا إذا فقدنا الأحبة كسائر الناس في العالم، فإن الفلسطينيين يفقدون يومياً أحبتهم بالقتل والتشريد والضياع، وينشأ الصغار وهم بحاجة مسيسة إلى الأب المقتول والأم الملتاعة والأخ المشرّد..

obeikandi.com

تنزل بهم الفجائع في كل يوم.. حتى صار الموت خبزهم الذي يعيشون عليه.. ولهذا فلن ننسى رسالتنا التي حملنا أنفسنا عليها.

وأدرك غيث معنى فقدان الأحبة؛ وخصوصاً إذا اغتالتهم الأيدي الآثمة، وأذاقتهم الويلات قبل أن يموتوا.

ولم تمضِ أيام حتى كان غيث يحيا بنفس جديدة.. تجاوز حزنه السلبي إلى حزن آخر إيجابي.. لئن فقدنا الأحباب فإننا كلنا إلى زوال، والباقي الوطن الذي يجب أن نعمل من أجله بكل إمكاناتنا.. نعمل له على نحو حضاري رفيع المستوى، بعيد عن الهمجية؛ لأن الحضارة لا تبنى بالتوحش ولا العدوان الذي يقوم العدو بانتهاج الطريق إليهما.

شعر كل من غيث وسارة على بعد المسافات أنهما يعيشان معاً، يعرف كل منهما عن صاحبه

obeikandl.com

أفكاره وحياته وتوجهاته، يتحادثان بحميمية راقية وتهذيب بالغ.. صار شوقهما بعضهما إلى بعض يزداد يوماً بعد يوم، ينبض به قلباهما. كان يتوق للسفر إلى ماليزيا، وتحدثها نفسها بالسفر إلى سورية.. ولم يعد أحدهما يتصور مع الأيام أن يعيش بدون صاحبه، إذ أخذ تفكير كل منهما بالآخر ينزل في قلبيهما المتدفقين بالحماس والاندفاع منزلاً عظيماً.

في ذات يوم انقطعت الشابكة، تعطلت، توقف بينهما الاتصال المفتوح.. أحس كل منهما بشيء من ضياع، وشعرت هي كذلك.. أكثر من ثلاثة أيام، ومحاولة الاتصال تبوء بالإخفاق.

مع الاتصال عادت لغة المودّة.. وأحسا بالقرب من بعضهما البعض على نحو أشدّ. وعاودا العمل من أجل الهدف المنشود.. واستأنفا يناقشان كل مشكلة تمر بأحدهما، ويحللان الأحداث الكبرى الجارية على امتداد العالم، وينظران إلى

النتائج المترتبة عليها مما يضر العالم الإسلامي أو ينفعه. وبدا العالم الإسلامي مضطرباً يفور كل حين بالأحداث الغريبة.

وفوق ذلك كان كل منهما يتبادل المعلومات والأخبار العامة والشخصية مع الآخرين من أعضاء الفريق، حتى أخذت أفكارهم وعواطفهم تتحد، وصاروا كأنهم يعيشون في غرف متجاورة أو بيوت متقاربة في بلد واحد، مع بعد المسافات الشاسعة بينهم.. يعرفون بعضهم بعضاً أكثر مما يعرفون زملاءهم وأقرباءهم الذين يحيون معهم كل يوم.. لأن الأجسام شيء والأرواح شيء آخر أعظم وأوسع. فقد يعيش الفرد في منزل واحد مع آخرين فلا يحس نحوهم بقرب، ويلتقي بناس لقاء عابراً فيشعر بروحه تلتقي معهم سريعاً على نحو حميمي.

ومع هذا فكان كل أحد يتشوق إلى اللقاء بالآخر، ليعرفه عن قرب لا من خلال الصورة والحوار والفكر، بل بالحضور الجسمي كذلك.

كانت رسائلهم إلى بعضهم البعض تكشف في كل منهم نمط تفكيره، وأسلوب حياته وميوله واهتماماته وجده وهزله.. وكان ذلك كافياً للتعارف فيما بينهم؛ تعارف يدفعهم نحو الهدف، إنها العولمة بأبرز تجلياتها، قربت الأبعاد، وألغت الحدود وحطمت الحواجز، وأعادت انتساب الإنسان إلى أبيه آدم، فشعر الجميع أنه لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى.

ها هو ذا عصر المعرفة الذي غيّر كل شيء في حياة الإنسان؛ غيّر أنماط تفكيره وأساليب عيشه وطرق تربيته ووسائل تعليمه ومعظم عاداته وتقاليده وعلاقاته.

مفاجأة

في يوم ماطر صباحه.. وما أكثر صباحات ماليزيا الماطرة الرخيّة، وفي الشقة التي تسكنها سارة في كوالالمبور، سمعت طرقاً على الباب.

قامت من وراء حاسوبها وهي تقرأ رسالة غيث الذي كتب لها يقول: " مفاجأة سارّة يا سارة قريباً".. كانت تتساءل عن المفاجأة ما ستكون يا ترى؟! لهجة جديدة أخذ غيث يتحدث بها. هل هي شيء يتعلق ببرنامج العمل؟ ربما!!

نظرت من خصاص الباب، رأت شاباً غريباً، وكأنها تعرفه. فلما فتحت تلبستها دهشة جعلتها تجمد في مكانها؛ وهي ترى هذا الشاب المتبسّم لها.

obeikandi.com

لحظات مذهلة مرت عليهما.

سارة؟

غيث! معقول! ما الذي جاء بك؟

كان موقفاً غريباً جداً.. مذهلاً كأنه خرج لها من شاشة الحاسوب.. أو كشيء يشبه ذلك.

هرع أخوها الصغير الذي دهش كذلك.

أحمد!! هذا هو غيث.

كانت جلسة رائعة.. كان أحمد وهو يصغر سارة بسنتين يعرفه تماماً، يعرف عنه أشياء كثيرة.. وقد انضم بدوره إلى المشجعين لفريق الأجنة.. تحدثوا بلغة عالية ذات هموم.. غيث غدا وحيداً بعد فقد الأم ومن بعدها الأب، وكذلك سارة أحزنها موت أخيها الكبير الذي كان بمثابة أبيها. ولم تخبر غيثاً بذلك من قبل؛ لئلا تثير في نفسه الحزن عليها.

تحدثا عن آلامهما، كيف فقد أباه بعدما ذوى

عوده سريعاً، ودبّت إليه الشيخوخة إثر فقدان الأم، وكيف توفي أخوها في مرض عاجله سريعاً.. إنها الحياة عربة لا تتوقف أبداً.

بدت له سارة أعظم وأعلى مما كان يتصور، كانت شعلة حية لا تهدأ، تتحرك بحيوية، تنطق عيناها الجميلتان بالذكاء الممزوج بالهدوء المتحرك المتوثب.. تتكلم بصوت يدخل إلى النفس فيؤثر بها.. أثارت فيه مشاعر شتى ليس من الإعجاب والدهشة فحسب، بل من الحب الصافي الذي تحرك به قلبه.. وتفاهمت مشاعرهما سريعاً.

اجتمع أصدقاء عديدون.. وأقرباء سارة، دعوه إلى حفلة غداء، احتفوا به.. تذوق الطعام الحار الماليزي فما استطاع أن يجاري الحاضرين، شعر بلذع مؤلم في لسانه وحلقه.. تبسموا كلهم إلا سارة أزعجها ذلك، فاتها أن غيثاً لا يستطيع تذوق الأطعمة الحارة، شأن معظم شعوب الشرق الأدنى.

في اليوم التالي حضر منتصر أحد أفراد فريق الأجنة من ماليزيا؛ دعته سارة ليلتئم اجتماع الثلاثة.

كان اجتماعاً مصغّراً قدّر له أن يكون الاجتماع الأول على أرض الواقع، وكان اجتماعاً ساخناً مملوءاً بالعواطف المفعمة بالحماس، ولم يكن يحتاج كل واحد أن يشرح للآخرين عن نفسه وأفكاره لأن كل ذلك معروف للجميع.

تداولوا الأحداث المستجدة على ساحة فلسطين والعالم العربي، وراجعوا الأفكار الأولى والخطّة التي وضعوها.. وجدوا أن التغيير أخذ يهب على العالم كله، وخصوصاً على فلسطين وما حولها.. فمن زمان غير يسير سقطت أنظمة عربية مهترئة لم تكن تتعامل مع الواقع بالمنطق ولا بسنّة التطور التي وضعها الله في الكون.. وها هي ذي الشعوب والدول والقبائل بدأت تتحد في ظل الأعراف الإنسانية الجديدة، في نظام عالمي يخضع له الجميع..

كان التقتيل والتنكيل بالإنسان المظلوم في عدد من الدول يجري في الخفاء، تقوم ثورة في مدينة أو بلد ما؛ فيضع الحاكم يده عليها، ويقضي على جذوتها في الظلام؛ بعيداً عن وسائل الإعلام، ولا يدري بها أحد، ويزيد بعدها الظلم والقمع.. حتى تحولت بعض البلدان إلى سجون كبيرة لا تتنفس إلا برئة حاكمها، ولا تتكلم إلا بلسانه، ولا تتحرك إلا بحركته، ولا تفكر إلا بعقله.. يحكم عليها بالموت والفقر والذل؛ وهي ترفع اسمه وتسبح بحمده كل يوم وتمجّده.. فإذا بعصر المعلومات اليوم يفجّر العالم..لم تعد نملة سوداء تتحرك في الليل البهيم إلا ويطير خبرها إلى كل أنحاء العالم، وصار العدل والحرية والمساواة والحق كلمات ذات قيم ومضامين مطلقة لا تقبل التحريف، فلم يعد ممكناً لأحد أن يسمي الظلم عدلاً، ولا الاستعباد حرية، ولا التمييز مساواة، ولا الباطل حقاً، ولا الشر خيراً.

obeikandl.com

وتحدثوا طويلاً عن ثورة مصر نموذجاً احتذته الثورات بعدها منذ عام ٢٠١١ التي غيّرت أنظمة فاسدة لبلدان ما حولها؛ ثورة عرفت ماذا تريد، ولم تقم عشوائياً، وإنما خطط لها الشباب.. فتغيرت الدنيا حتى ارتجت لها.. قامت الثورة من غير أسلحة، لا يحمل أصحابها إلا الإصرار على الرأي العام لتغيير الفساد، كان سلاحهم الفتاك هو الحق والمطالب العادلة.. وحين قاومهم النظام بالأسلحة تلقوها بصدورهم.. وسقط منهم قتلى وجرحى كثيرون.. ولكن النظام سقط مع كل هذا. وسقطت البندقية التي ارتفعت إلى الداخل عقوداً، اشترتها الأنظمة بأموال الشعب لتقتله بها.

بحث أصحاب الاجتماع المصغّر في الخطة التي وضعها الفريق، وإلى أي مدى تحققت، ورأوا أن الأمور تسير على ما يرام، تحدثوا عن الرسائل التي أرسلوها حول العالم؛ لإيقاظ الهمم، ولِبثِّ الحقائق التي يشوهها الصهاينة وعملاؤهم.

ووجدوا ثمرتها وردود الفعل التي أحدثتها.. ورأوا أن الموعد الأكيد سيكون في عام ٢٠٤٨ حين ستتحرر القدس من الظلم بفعل السنن الكونية، وبيقظة الدنيا التي ستبطل كل الأسلحة صغيرها وكبيرها إلا سلاح الحق والخير والجمال.

ولم يدر غيث بعد مضي أيام قليلة كيف يطرح طلبه على أهل سارة. .بدا له أن يسرَّ به إلى ابن عم لها تحترمه الأسرة وتعدّه كبيرها.. خلا به، وشرح له رغبته بالزواج من سارة التي وجد فيها الفتاة التي تفهمه ويفهمها.

وبعد حفلة صغيرة متواضعة حضرها الأهل والأصدقاء، وبطريقة ليست كسائر الطرق التي كانت تجري من قبل، أدرك العروسان أن الحياة تغيرت تماماً، وأنه لا بد دوماً من التغيير نحو الأحسن والأفضل، ورسما منذ اليوم الأول خطة لحياة هذه الأسرة التي يؤسسانها والتي يعرفان لماذا يؤسسانها.. من أجل إنشاء جيل يعمر الأرض.

obeikandi.com

جاءتهما تهانٍ كثيرة من أعضاء فريق الأجنة الذين أخذوا بدورهم يبحثون عن زواج مماثل يقوم على استشراف مستقبل سعيد.

كانت الرسالة الأولى لهذا الفريق إعادة الإنسان إلى توازنه الذي فقده في أثناء تحوله السريع من عصر الصناعة إلى عصر المعرفة.

في الأيام الأولى من زواجهما كان العروسان متأثرين جداً لمجمل العواطف التي كانت تعتمل في قلبيهما.. من ذكرى الأحبة الذين لم يشهدوا هذه اللحظات الحلوة في حياة أسرة تقوم على الحب والعقل معاً.. ورأيا أن لقاءهما المدهش هذا ثمرة للعولمة الإيجابية لا السلبية، ونتيجة لوصول العالم إلى حياة أفضل وأقل تعقيداً.

obeikandl.com

عالم متغيّر

شهد غيث وزوجته سارة بعد سنوات قليلة من زواجهما، وهما يحتفلان بأول مولود لهما اختارا له اسم سعيد.. شهدا تطورات سريعة في العالم، تفاءلا بولادته وهما يريان قوة السلاح تتراجع، فلم يعد استخدام العنف في فض النزاعات مسوَّغاً قبل استنفاد الجهد في الإقناع عن طريق التفاوض، ولم يعد اتخاذ القرار باستخدام القوة موكولاً إلى أطراف النزاع جماعات وأفراداً.. بل أصبح في يد مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بعد أن تحرر مجلس الأمن من لعنة الفيتو التي تعطي بعض أعضائه حق تعطيل إنفاذ العدالة الدولية.. وبعد أن

obeikandl.com

تحررت الهيئة كذلك من هيمنة القطب الواحد القوي. واستعادت نظام التعدد والتدافع الذي فطر الله الإنسانية عليه.

ورأى الزوجان كيف جفت معظم ينابيع النزاع الأساسية الساخنة في العالم، بعد أن تساقطت جدران العصبيات القومية والعرقية والدينية في عصر المعرفة والعولمة، وانزوت على شكل قنابل موقوتة يفجرها الشيطان بين حين وآخر، في غفلة من المجتمع الإنساني، ليذكره بأنه ما يزال موجوداً، وأن الصراع بين الحق والباطل لن ينتهي ما دامت الحياة قائمة على وجه الأرض.. ولكن المناخ الدولي والشعبي لم يعد يسمح لأحد دولاً وأفراداً أن يفلت من قبضة العدالة بذريعة التقادم والأمر الواقع.

كان الزوجان يتلقيان على بريدهما رسائل من أعضاء فريق الأجنة وغيرهم؛ رسائل شتى تركز على تاريخ إسرائيل في جرائمها ضد الإنسانية؛

معروضة على نحو تسلسلي زمني.. وكيف تطور ذلك.. وكانت تلك الرسائل تستفيد من الصحوة التي أخذت تتنامى في الأجيال الشابّة، ومن التقدم التكنولوجي في وسائل الإعلام التي استمرت في بث الوقائع إبان حدوثها، وتعيد كتابة التاريخ وهي تزيل عنه غبار التضليل والتشويه.

وأخذ الزوجان يندهشان للتطور الحاصل في تساقط دعاوى إسرائيل؛ التي تسلطت في فلسطين وقتلت الناس واقتلعت الزيتون، بحجج كانت تروّجها وتستعلي بها.. فلم تعد أحابيلها تنطلي على أحد في العالم بقدر ما باتت تقابل بالازدراء، وبفتح سجل جرائمها الإنسانية البشعة.

وبات زعماؤها محاصرين، مطلوبين للعدالة الوطنية والدولية.

عاش غيث وسارة وفريق الأجنة مع سيل الرسائل والمدونات التي أخذت مواقعها على

الشابكة؛ مع إمكانات بحث وترجمة، تتيح لكل من المرسل والمتلقي أن يستخدم اللغة التي يريد.

لا تكاد تقع واقعة أو يصدر تصريح أو يبث خبر، حتى تكون الشابكة قد حملت تحليله والتعليق عليه إلى أنحاء العالم، وعادت منها بالردود التي تدخل فوراً في معمل الإحصاء والاستفتاء؛ لاستخلاص دلالات الأرقام وقياس النجاحات وردود الأفعال.. تتجمع كلها في قاعدة بيانات المؤتمر الموضوعة تحت تصرف أعضاء فريق الأجنة.

ولم يكد العقد الرابع من عمر فريق الأجنة يقترب من نهايته، حتى كان مؤتمرهم قد حقق نجاحاً كبيراً بعد الجهد الذي بذلوه في إيقاظ الهمم وفي بث الأفكار، وتوصلوا إلى نقاط واضحة:

إعادة الوعي بالقدس إلى الأجيال العربية والإسلامية الصاعدة.

وضع قضية القدس في بؤرة الضوء الأولى.

تشكيل رأي عام عالمي رسمي وشعبي يتصدى لكل أكاذيب إسرائيل وأضاليلها.

وبالاستناد إلى هذا فلم يعد بوسع إسرائيل أن تستفيد من حالة العجز والغفلة والتخدير والتضليل؛ التي اطمأنت إليها إبان صعودها، لتمرير أضاليلها وطمس جرائمها وتحقيق أطماعها التوسعية..

ولم تعد أمريكا- الدولة الراعية لها- تستطيع تبييض صفحتها وتلميع صورتها وإقرار مخططاتها وطمس جرائمها.

obeikandl.com

البذار

كان منتصر الماليزي الذي تخرج بكلية علم الاجتماع يزعجه ويسوؤه ما يحصل على أيدي بعض الشباب من المسلمين، ويؤدي إلى تشويه معنى الجهاد والشهادة والاستشهاد، والهبوط به من شرف التضحية بالنفس في سبيل الله، والنكاية بأعداء الحق والإنسانية دفاعاً عن الأرض والعرض، إلى حضيض الانتحار المجاني لقتل الأبرياء، خبط عشواء؛ بلا غاية ولا هدف.

كما هاله صمت معظم علماء المسلمين عن إدانة هذا الفكر المنفلت من ضوابطه الشرعية ومقاصده السامية النبيلة، فأكبّ على دراسة هذه

obeikandi.com

الظاهرة التاريخية الاجتماعية؛ التي تطلُّ برأسها كلما أغلقت أبواب الحوار في مجتمع ما، وساد الفكر الأحادي مع كل ما يصاحبه من احتكار للحقيقة وتعصب للرأي ونفي للآخر.. وهي الظاهرة التي صاحبت انهيار الأمم وسقوط الحضارات على مرّ التاريخ.

أخذ منتصر المتحمس دوماً، يتحدث إلى زملائه من حوله بهذه الظاهرة الغريبة التي تطفو على سطح المجتمع اليوم، وكانوا مختلفين؛ بعضهم يؤيده، وبعضهم يدخل معه في حوار ساخن، ويرى أن الظلم لا يقاوم إلا بالردع، في حين كان يرى هو ومن اقتنع برأيه أن الحوار أسلم طريق، وأن الدعوة السلمية والوعي الحق هو الذي سيُسقط الظلم، وأن هذه الحركات الانتحارية لن تجدي شيئاً، بل تستعدي العالم ضدها، حين لا يرون فيها مطالبة بحق.

كان منتصر يشرح لزملائه طبيعة الأرضية التي

obeikandl.com

قامت عليها هذه العمليات والنتائج غير الحسنة التي حصدتها.

كانت هذه المسألة تشغل بال منتصر كثيراً وتؤرقه، حتى كان يرى أفكاره هذه تتجسد في أحلامه عند النوم، ويصرخ بها وكأنه يخطب، حتى لاحظ إخوته ذلك، وصاروا يسخرون منه ويعيدون على مسامعه في الصباح ما كان يتكلم به في الليل.

ثم أخذ على نفسه أن يوسّع التصدي لهذا الفكر الإقصائي الخوارجي المنحرف؛ فجعل يطلق رسائله عبر موقعه على الشابكة ويتصدى لمناقشة الردود حتى صارت نقاشاته تحتدم مع مراسليه وتطول.

آمن تماماً بأن الجهاد ذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث النبوي، ولكنه كان يريد تعريفاً له صحيحاً؛ مع ما يصحح مفاهيمه ويحدد مقاصده ويضبطه بضوابطه.. ومن هنا انطلق آخذاً

بالآيات الكريمة المتعلقة، وبالأحاديث الصحيحة، والسيرة النبوية التطبيقية، وبوقائع التاريخ.. يغلف ذلك كله بالحوار الهادئ الرصين؛ القائم على الحجة والبرهان، من أجل الوصول إلى الحقيقة..

قال غيث وسارة لمنتصر:

أنت إذن تكفينا القيام بهذه المهمة.. ويجب أن يعمل أفراد الفريق كلهم بهذا الاتجاه لتقوم قناعة شعبية بالفكرة.

وقال منتصر:

وأنتما يجب أن يكون لكل منكما وظيفة.

طبعاً.

غيث يتابع توعية الناس بالحقوق المسلوبة.

أنا أقوم بهذا دائماً ومنذ وقت طويل.

وسارة تعمل على توجيه الأطفال الصغار والمربين الكبار نحو القضية العادلة.

obeikandl.com

وقد جاءنا من لطيفة السودانية أنها تركز في توعية الناس حول تاريخ القدس وتدأب في عملها.

طبعاً؛ والاتصال دائم بين أعضاء الفريق ليأخذ كل دوره وموقعه من خلال تخصصه.

نعم.. وكلهم مؤمنون بما يفعلون.

كانت الرسالة الأولى التي وجهها غيث عبر الشابكة رسالة بعنوان:

«أطلق يديْك؛ لستَ مكبلاً.. لستَ رقماً مهملاً.. لستَ غثاءً..».

جاء فيها: قال رسول الله ﷺ: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: أو من قلة نحن يومئذ؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في

قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت».

رواه أبو داوود

أكان ما تنبأ به الرسول ﷺ لنا قدراً لا فكاك لنا منه يصحبنا إلى يوم القيامة؛ تتضاءل معه فعاليتنا في اطراد عكسي كلما ازداد عددنا؟ أم هو سنة من سنن الله تعالى وقوانينه في تداول الحضارات بين الأمم؛ بزوغها وصعودها، فاسترخائها وأفولها..

وهل في سنن الله تعالى وقوانينه فرصة لاستئناف أمة خرجت من دورة الحضارة أن تعود إليها، فيستعيد كل فرد فيها قيمته وقدرته ليصبح رقماً موجباً فوق الصفر، بعد أن كان غثاءً كغثاء السيل؟!

وها هو الجواب يأتينا في قانون آخر من قوانين الله تعالى التي تتعاضد لتؤكد لنا ترتيب المسبَّبات على الأسباب، واعتماد النتائج على

المقدمات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١/١٣]، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢١/ ٩٤].

أنت تعيش الآن عصر المعرفة وثورة المعلومات والاتصالات، تستطيع من خلالهما أن تخاطب الملايين وتتواصل معهم..

معركتك الثقافية التي تخوضها أوسع مدىً وأبلغ أثراً لدعم المعركة العسكرية المحدودة في المكان والزمان والإمكان..

تستطيع من موقعك أن:

١- تَدرس قضيتك بعمق، بكل أبعادها؛ جذورها، ومآلاتها..

كيف بدأَت؟ وكيف تسللت؟ وأين كان الخلل؟!

٢- تُنظم وتشارك في حلقاتِ دراسة ومناقشة، في أي مستوى تقدر عليه:

الأسرة، الأصدقاء، المراكز الثقافية، الوسائط الإعلامية..

٣- تبقى على صلة بالمعلومات المتعلقة بقضيتك، وتحيط الآخرين علماً بها، فمعرفتك تقابل الجهل واللامبالاة..

٤- ترتدي زياً أو ترفع شعاراً يرمز إلى قضيتك..

٥- توجه رسائل احتجاج أو تأييد معدة بعناية؛ لمرتكبي الجرائم بحق قضيتك، أو للمدافعين عنها، وبلغاتهم، إن كنت تتقنها، أو تستعين بمن يتقنها..

٦- تغتنم أي فرصة للتحدث عنها، ولإثارتها في كل لحظة، ومن دون مناسبة، ومع كل إنسان.. لتكون قضيتُك هاجسك..

obeikandi.com

٧- تحث أصدقاءك على فعل ما تفعله؛ كُلاً بأسلوبه، تأكيداً لصدقية التنوع والتعدد وتجنباً للتكرار الممل..

٨- تصومَ تضامناً مع المجوَّعين، فتوفِّر ثمن وجبةٍ؛ تتبرع بها لإطعامهم..

٩- تمتنعَ عن شراء حاجةٍ، مشاركةً للمحرومين؛ تتبرع بثمنها لسد حاجاتهم..

١٠- تُقاطع، وتحرضَ من يلوذ بك على مقاطعة بضائع المعتدين ومن يناصرهم ويواليهم..

١١- تنظم استفتاءات حول قضيتك، بالوسائل المتاحة لك؛ شفهياً، أو كتابياً، أو إلكترونياً.. لترصد وتقيس مدى نجاحك في جمع التأييد والنصرة لقضيتك..

١٢- تجهز أرشيفاً، وتفتح ملفات؛ ورقية أو إلكترونية، تعينك على الوعي بقضيتك..

١٣- تكتب مذكراتٍ ويوميات لمراقبة تطور قضيتك، ولقياس ما تحقق لك من أهدافك..

١٤- تبقي على قضيتك حاضرة في ذهنك، وفي أذهان الآخرين، ولا تدعَ عدَّوك يرتاح ويضلِّل.

١٥- لا تستخف أو تستصغر جُهدك، فإنما الأعمال بالنيات، وسيبارك الله جهد المقلين، ويجعل منه الكثير المؤثر بإذنه..

١٦- تستخدم مواهبك الخاصة لدعم قضيتك: فإن كنت قانونياً فلتحرك دعاوى ضد المجرمين أعداء القانون الدولي، وإن كنتَ ممثلاً فأنشئ مسرحاً متنقلاً في الشوارع يفضح العدوان، وإن كنت شاعراً نثرت قصائدك، وإن كنتِ تحوكين الملابس فأرسلي قبعات لأطفال غزة..

وجاءه الرد الأول عليها، بعنوان: (**بعض الملاحظات حول مشروع أطلق يديك**): إن

للمشروع أهمية عظيمة وخاصة في الوقت الحالي، الذي نحن بحاجة فيه (لكسب المعركة الثقافية) كما ورد في وصف المشروع؛ وذلك في مواجهة محاولات جعلنا خاسرين ثقافياً وفكرياً ومهمشين، بعد أن كانت أمتنا في مقدمة الشعوب والأمم.

إن المشروع يحاول تجميع شتاتنا لنبدأ بالتفكير في ما حصل من إبادات جماعية في فلسطين، ومحاولة نشر الفكر التنويري الذي يحارب الفكر التطبيعي والاستسلامي (وإن شئت الفكر الانهزامي) بكل الوسائل.

وسنورد بعض الملاحظات علها تكون في خدمة المشروع:

أولاً: إن هيكلية المشروع هي هيكلية مناسبة، لكن أهداف المشروع بحاجة إلى تحديد أكثر لتتضح معالم الحرب الفكرية هذه؛ مثلا يمكنني تحديد أهداف المشروع بثلاثة أهداف رئيسية يمكن العمل عليها هي:

١- نشر التوعية عن طريق المراسلات الإلكترونية المرشدة، وجمع الأصوات ومحاولة تكاتف الأيدي لإطلاق العنان لها في المعركة الفكرية، وذلك لإيجاد رأي عام عالمي موحد؛ يشكل عامل ضغط ضد المجازر الصهيونية البشعة.

٢- محاولة تحميل قادة الكيان الصهيوني المسؤولية القانونية الكاملة عن هذه المجازر عن طريق رفع الدعاوى القانونية في أنحاء العالم، وتأييد كل من يرفع هذه الدعاوى.

وهنا تجدر الملاحظة بأنه يجب رفع الحصانة التي يختبئ خلفها الكيان الصهيوني؛ ألا وهي معاداة السامية، وذلك عن طريق سجال فكري مع الغرب، لتوضيح الالتباس، وفضح الكيان الصهيوني وممارساته.

٣- محاربة الكيان الصهيوني ومؤيديه عن طريق المقاطعة الاقتصادية، وجمع المؤيدين لهذه المقاطعة والتواصل معهم بشكل دائم لتفعيلها.

obeikandl.com

وبالإضافة لذلك جمع التبرعات بكافة أشكالها لدعم صمود الشعب الفلسطيني بكافة الوسائل التي تضمن وصول الدعم لأصحابه.

ثانياً: إن الكيان الصهيوني هو كيان مصطنع وطفيلي وغير مؤهل للاستمرار، لكنه كيان وُجد في وقت حرج من القرن الماضي، ودعم من أصحاب القرار الدولي، وعاش واستمر بدعم نوعين من القوى؛ أصحاب المال ووسائل الإعلام؛ لذلك سوف يكون عدونا في هذه المعركة معروفاً، ويجب علينا الاستعداد له في نقاشاتنا وتفكيرنا وتوجهنا. ويجب علينا أن نحاربه بأسلحته ذاتها؛ وذلك بالتوجه إلى أصحاب المال وباستخدام وسائل الإعلام.

بالنسبة لأصحاب المال هم كثيرون في العالم العربي والإسلامي، ولن نعدم الوسائل للتوجه إليهم للوقوف إلى جانب قضيتنا. وأما الإعلام فهو النقطة الأصعب، لكن بالمقابل يمكن الاستعانة بها

عن طريق الإنترنت والمواقع الإلكترونية، وذلك بواسطة الرسائل الموجهة بعناية فائقة.

إن الفكرة السابقة لا تنفي أن يكون التوجه الأساسي للعامة من المثقفين، وذلك لإعادة التشكيل والتجنيد الثقافي. لكن التوجيه الوارد في الفقرة السابقة سوف يكون لحماية هذا التجنيد ورعايته ولجعله إطاراً عاماً للفكر الحديث المقاوم للتطبيع والانهزامية والاستسلام.

ثالثاً: إن المشروع كبداية رائع جداً لكن يجب التفكير في ما بعد؛ بوضع الأسس العامة القانونية لبناء منظمة دولية أهلية لمناهضة الصهيونية، تقوم برعاية المشروع والحفاظ عليه. وهذه المنظمة تكون من أصحاب الفكر الرواد بهذا المشروع في العالم.

وهنا يجد الدور الثقافي والاجتماعي عبر العالم مكاناً في هذا المشروع فيكون للكلمة واللوحة والأغنية دور هام للتثقيف والتجنيد.

obeikandl.com

رابعاً: يجب العمل بتركيز، وعبر المفكرين المتخصصين المؤيدين، وذلك لفتح حوار جاد وهادئ مع المفكرين في الغرب، لتوضيح نقاط الخلاف التي نجح الكيان الصهيوني بتعميقها، بين ثقافة الشرق والغرب؛ وذلك ابتداء من الفكر الجهادي الإسلامي، الذي تحول عند الغرب إلى إرهاب، وانتهاء بتوضيح قيم التسامح في ديننا الحنيف الذي يأمر بقبول الغير وأولوية الحوار معه. وهذه الوسائل هامة لجلب مؤيدين مهمين لهذه القضية.

خامساً: إن هذا المشروع يجب أن يكون من أهدافه تجنيد مؤسسات خاصة وحكومية؛ لإبراز بشاعة الكيان الصهيوني وأعماله.

سادساً: إن المشروع يحمل مبدئياً ثلاثة أهداف، نرى أن يكون هناك ثلاث فئات مختلفة للعمل عليه بصورة متخصصة؛ فيكون لكل فئة مجال عمل خاص، ويكون لكل فئة أهداف خاصة

للتوجه إليها؛ لكن يجمع الكل عنوان واحد هو وحدة الإدارة والعنوان.

سابعاً: يجب أن يبدأ المشروع بعمل أرشيف خاص لجرائم الكيان الصهيوني بكافة الوسائل؛ سواء كان بالوثائق أو الصور أو بشهادة الشهود أو الإعلام أو بأية وسيلة أخرى، ليتحول فيما بعد إلى أرشيف يمكن الاحتجاج به.

كان أبو دجانة أول الشباب الذين حاورهم المنتصر، كان له موقع على الإنترنت أتخمه بمفاهيم الولاء والبراء، ودار الحرب ودار الإسلام، والتكفير والتهجير.

تودد إليه المنتصر طويلاً عبر بريده الإلكتروني، حتى استطاع أن يستدرجه إلى حوار عقلاني طال أمده، قبل أن يتمكن من إقناعه بأن الأصل في مفهوم الجهاد في الإسلام هو جهاد الكلمة؛ مارسه

obeikandl.com

الرسول ﷺ وأصحابه ثلاثة عشر عاماً في مكة؛ دعوةً إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، واحتمال كل صنوف الأذى والعذاب والمقاطعة؛ لم يأذن الرسول لأحد من أصحابه أن يرد على إيذاء أو تعذيب.

﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٥٢]. .

لم يكن أبو دجانة يعرف أن الضمير في (بِهِ) يعود على القرآن، وأن الآية من سورة الفرقان نزلت في مكة، حيث كان على المسلم أن يتحمل كل أصناف التعذيب والاضطهاد، فلا يرد على الأذى إلا بمزيد من الإصرار على كلمة الحق، ويمر الرسول ﷺ بآل ياسر وهم يعذبون، فيقول لهم: "صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة" ويردد بلال: أحد أحد، وقد وضعوا الصخرة على بطنه، فإذا جف حلقه وعجز لسانه عن النطق حرك بها سبابته.

ويتوجه منتصر إلى أبي دجانة بأسئلة أربكته: ألم يكن بوسع رسول الله أن يخرج على قريش

بسيفه؟! ألم يكن يسعه أن ينقلب على قريش ويزعزع استقرارها؟! ألم يكن بوسعه تكليف الأشداء من أصحابه باغتيال أبي جهل وأشباهه من صناديد قريش وزعمائها؟!

و لماذا يستمر الأمر بكف اليد حتى ليلة العقبة الثانية حين اكتشفت قريش أمر الأنصار؛ يبايعون الرسول. . فيقول له المسلمون مُرنا يا رسول الله لنميلن عليهم غداً بأسيافنا، فيقول الرسول ﷺ " لم نؤمر بذلك"؟!

لماذا يأتي الإذن بالقتال بعد الهجرة، وقيام دولة المسلمين في المدينة، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٢٢/ ٣٩] دفاعاً عن الذات ضد عدوان خارجي يستهدف إبادتها.

ألا ترى معي - أخي أبا دجانة - صرامة المنهج الذي رسمه لنا الرسول ﷺ: "أفضل الجهاد [داخل النظام السياسي] كلمة حق عند

سلطان جائر" وكذلك "سيد الشهداء حمزة [استشهد في معركة أحد مع عدو خارجي يهدد الأمة ونظامها] ورجل قام إلى إمام جائر [في الداخل] فأمره ونهاه فقتله"؟!

هما طريقان للشهادة يا أبا دجانة لا ثالث لهما؛ طريق الدفاع عن الذات ضد عدو خارجي، تقاتله جندياً في جيش بلدك، أو مقاتلاً في حركة من حركات المقاومة؛ فتقتل فتكون شهيد معركة. وطريق كلمة حق عند سلطان جائر؛ يقتلك لأجلها فتكون شهيد كلمة، أو طريق عصيانٍ لقانون أو أمر لم تقتنع بعدالته، ورأيت تحملك مسؤولية عصيانه أهون عليك من تنفيذه؛ فتكون شهيد موقف.

وكل قتل خارج هذين الطريقين فليس بشهادة، و"القاتل والمقتول في النار". ولتأكيد ذلك وقف رسول الله ﷺ في حجة الوداع ينادي بأعلى صوته مؤكداً حرمة الدم الإنساني: "**أيها الناس!!** إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا

في شهركم هذا في بلدكم هذا.. لا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض".

وكأني به ﷺ وهو ينظر من جبل الرحمة، بعين المشفق الوجل، يريد أن يوجه خطابه إلى كل من كان وراء الجبل على وجه البسيطة، ويرنو ببصره إلى الأجيال الإنسانية المتعاقبة؛ يريد أن يبلغها دعوته إلى حقن الدماء: "ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه".

قال أبو دجانة وقد أفحمته براهين المنتصر المتلاحقة: فماذا بعد الإذن بالقتال؟ ألم تسمع قول الله تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ [محمد: ٤٧/ ٤]؟

قال المنتصر: هلا تنبهت إلى نعت الأعمال الحربية في الآية القرآنية ذاتها بالأوزار، والمسلم لا يرتكب الأوزار إن لم يكن مضطراً إليها، لرد

عدوان أو دفع مظلمة!! والرسول ﷺ قال يوم الحديبية: "لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها".

قتل النفس يا أبا دجانة كبيرة من الكبائر ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٥/ ٣٢].

الكفر في القرآن يا أبا دجانة كفران: **أولهما**؛ كفر الرأي فلا يترتب عليه إلا مقارعة الحجة بالحجة ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٥٦] و﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ١١١] ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣٤/ ٢٤]، **وثانيهما**؛ كفر الظلم والعدوان؛ هو الذي تتوجه إليه كل الآيات القرآنية الداعية إلى قتال الكافرين، وهو قتال منضبط بضوابطه ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا

تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ١٩٠] ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٨/ ٦١].

استمر الحوار بين المنتصر وأبي دجانة زمناً؛ تدرب فيه المنتصر وقويت حجته، حتى تمكن بالحجة والبرهان من إسقاط كل ذرائع الشباب المهتاجين الجاهلين لمقاصد الجهاد ومسوغاته وضوابطه، وشجعه ذلك على البحث عن أمثال أبي دجانة؛ يقارعهم الحجة بالحجة، ويردهم إلى سواء السبيل، ليضيفهم إلى فئة المجاهدين بألسنتهم وأقلامهم ورسائلهم ومدوناتهم.

غيث وسارة أيّدا المنتصر وبعثا رسائل إلى أعضاء الفريق يخبرانهم بالنتائج التي توصل إليها المنتصر.. فكان ذلك خطوة إيجابية عممها الأعضاء برسائل كثيرة إلى من يعرفون ومن لا يعرفون.. خرجت على المواقع.

❀ ❀ ❀

obeikandl.com

أما لطيفة السودانية فقد انهمكت في الترويج للقضية المحورية الكبرى؛ القدس والمسجد الأقصى؛ عملت لها على خطين متوازيين: خط إعادتها إلى الذاكرة العربية الإسلامية التي نُسِّيتها، وخط تصحيح المفاهيم المشوهة التي غرستها الصهيونية في الذاكرة العالمية التي انخدعت بها واستجابت لها:

أبو بكر من نيجيريا كان ناشطاً على الفيس بوك؛ يوجه رسائله الغزيرة مفعمة بالنكات، وثرثرة الشباب، وحديث الأزياء، وأخبار الرياضة، ومغازلة البنات.. رأت لطيفة فيه طلبتها بوصفه نموذجاً للشباب العابث الخلي، الذي لا يمثل رقماً فوق الصفر في ميزان التأثير والفعالية؛ سوى أنه واحد من المليار ونصف المليار من المسلمين الذين وصفهم الرسول ﷺ بأنهم غثاء كغثاء السيل.

في أقل من عام استطاعت لطيفة أن تحول

أبا بكر النيجيري إلى رقم يتنامى، لم تخل تجربتها معه من المغامرة. في لعبة الصيد المتبادل على الفيس بوك، توهم أبو بكر في البداية أن شباكه قد وقعت على صيد ثمين فقد تحدثت إليه بحديث العواطف؛ راوغت، أسمعته كلاماً لطيفاً، ذاب فيه.. لم يدر في خلده أنه هو ذاته سيكون الصيد الثمين.. طلب صورتها فتعللت.. غازلها فبادلته الغزل على استحياء ماكر.. طلبت منه المزيد من المعلومات عنه؛ عن أسرته، عن أصدقائه، عن بيئته، عن هوايته، عن مغامراته؛ وهي توهمه أنها ترغب بالتعرف عليه.. لم يفطن إلى أنها كانت تدرسه؛ تدرس نقاط ضعفه، تبحث عن طاقاته الكامنة التي تريد أن تفجرها في الاتجاه الإنساني الفاعل.. شيئاً فشيئاً استطاعت أن تستدرجه إلى عالمها.. بعد أن زرعت في نفسه أنها تهتم به لشخصه؛ فرفعت بذلك اعتداده بنفسه وميله إليها وتعلقه بها.. فرسم في نفسه خيالات شتى.

obeikandi.com

توثقت العلاقة بينهما؛ شابين مسلمين إفريقيين.. استغلت ولعه بها لتحمِّله همومها.. فلسطين رمز لانحطاط المسلمين وتخلفهم؛ ضاعت بسبب عشوائيتهم وكلالتهم، ونُسيت بسبب غفلتهم وانشغالهم عنها بسفاسف أمورهم.. لا بد من إعادتها إلى الذاكرة.. لابد من وضعها في بؤرة الضوء ودائرة الاهتمام.. لابد من كشف باطل إسرائيل وأكذوبة حق إسرائيل في الوجود.. أكذوبةِ حقِّها في احتكار القدس، بعد ما حفظها المسلمون قروناً طوالاً، منذ العهدة العمرية؛ ملاذاً مباركاً آمناً لكل الديانات السماوية، ترمز إلى وحدتها وتعايشها.. لقد انخرط أبو بكر النيجيري في مشروع لطيفة التوعوي.. لمحت في رسائله التي أخذ يبثها هنا وهناك- بلغات مختلفة محلية وعالمية- وعياً لم تكن تتوقعه.. أفادت كثيراً من آرائه ومتابعاته مثلما أفاد منها.. ألم يأن لها أن ترسل له صورتها الشخصية التي سبق أن طلبها،

فشغلته القضية التي تبناها عنها؟! لا، لم يعد بحاجة لهذه الصورة.. ها هو الآن في مطار كانو ينتظر عروسه التي رسم لها في ذهنه صورة متخيلة، ليطابق الصورة على الأصل، وليستأنفا رسالتهما الإنسانية في عش الزوجية؛ زوجين سعيدين متطابقين جسداً وروحاً.

لم يكن الفيس بوك خالياً من المستخدمين الجادين من الجنسين، الذين كانت لكل منهم قضية كبرى يدافع عنها، لكنهم معدودون على الأصابع، لم يبلغوا بعد ما يثقل كفة الميزان..

من هذه القلة المعدودة استطاعت لطيفة ومعها سائر أعضاء الفريق أن يشكلوا نواةً؛ لم تلبث أن تضاعفت في سلسلة هندسية أخذت تنمو وتنمو، كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.

رأى أعضاء الفريق أن لطيفة اتخذت من تجربتها مع أبي بكر النيجيري نموذجاً لإمكانات

التغيير؛ وضعته في أيدي الثلة المتنامية من الشباب المنخرطين في ركب التغيير؛ مدركةً خطورتها البالغة؛ فقديماً قالوا: "ويل للشجي (المهموم بقضيته) من الخلي (العابث بلا قضية ولا هدف)". فما كل البنات مثلها تملك زمام أمرها وتعي رسالتها، ولا كل الشباب كأبي بكر سهل الاقتناع والتحول.

الهبوط والإخلاد إلى الأرض أيسر من الصعود والارتفاع إلى السماء، والحياة الإنسانية كلها صراع بين الخير والشر، والمعركة المحتدمة بين الحق والباطل سجال؛ يزيَّن الباطل حيناً فيعلو، ثم ما يلبث الحق أن يعلوه لأنه قوة في ذاته.. وما تخشاه لطيفة أن لا تكون صاحبةُ القضية واعية فيشدها الخلي إلى عالمه، وتنزلق قدمها معه.

كان غيث وسارة يطوفان أبداً على مواقع أعضاء الفريق؛ لأن مهمتهما كانت في التنسيق بينهم وتلخيص تطورات الخطة بشكل دوري. ومع

obeikandl.com

أن سارة أخذت تعاني آلام الحمل، إلا أنها كانت تتحامل على نفسها وتتابع التنسيق والتشجيع المتبادل مع الأعضاء؛ الذين باركوا لهما بعد الولادة بطفلتهما أمل؛ التي فتحت عينيها على دنيا جديدة للحرية والحق والعدالة.. وكانت ولادتها بشرى رائعة لأبويها اللذين رأيا تقدماً مهماً في القضية وسيراً حثيثاً في الخطة.

❁ ❁ ❁

لم يكن جيفري الأميركي المتخصص بالرياضيات أقل نشاطاً وحيوية.

إنه ابن الثقافة الغربية، نشأ وتربى على مناهج البحث الحديثة، ويدرك تماماً أساليب التأثير في العقل الأميركي الفردي والاجتماعي، ويملك مفاتيح الدخول إليه بقوة وفعالية.

ولكن عمل جيفري في أمريكا عمل صعب جداً، يحتاج إلى جهود مضنية وحثيثة.

obeikandl.com

لقد أدرك جيفري منذ البداية قوة اللوبي الصهيوني، وسيطرته على الإدارة الأميركية، ولعبة المصالح والموازين الانتخابية، والأساطير التي غذت بها إسرائيل الثقافة الأميركية، والأوهام التي حوَّلتها إسرائيل إلى ألغام؛ يحاذر كل أمريكي أن يقترب منها مخافة أن تنفجر تحت أقدامه. وفي مقدمتها المحرقة (الهولوكوست) التي استطاعت أن تحولها من محرقة ما تلبث نيرانها أن تخمد وتتلاشى بفعل الزمن، إلى كرة ثلج تكبر وتتضخم كلما تدحرجت نحو السفح، وإلى عقدة ذنب في الضمير الإنساني؛ تظل تبتزه بها إلى قيام الساعة، لا تبالي أن ترتكب ما هو أشنع منه، متوارية وراءه.

أقام جيفري موقعاً خاصاً به على الإنترنت تحت عنوان (بحثاً عن الحقيقة الضائعة research on loust fact). جعله موقعاً تفاعلياً ينشر عليه أفكاره ويتلقى الردود عليها؛ ترك الحديث المباشر عن دولة إسرائيل وسياسة الولايات المتحدة

تجاهها، والضغوط التي تمارسها على المجتمع الدولي لحمايتها؛ ملتفتاً إلى المجتمع الأمريكي المعروف بانفتاحه على الحقيقة والموضوعية.. استنفر لقضية (القدس) المشاعر الإنسانية التي ينحني الإنسان الأمريكي العادي أمامها.. استثمر فيه كل حدث وجريمة ترتكبها إسرائيل في فلسطين ليؤجج هذه المشاعر.. هدم البيوت، حصار غزة، منع قوافل الإغاثة المتجهة إليها، قتل المنظمين لها في عُرض البحر لإرهاب من وراءهم..

حاورته صبية من جامعة هارفارد حول حق إسرائيل في أرض فلسطين.

قالت هيلاري: إن فلسطين هي الوطن الأصلي لليهود، وجدُّهم الأعلى إسرائيل ولد هناك.

قال جيفري: لا تصغي إلى دعاوى اليهود. اقرئي الكتاب المقدس جيداً يا هيلاري! إنه يقول لك إن اليهود جاؤوا من مصر غزاة فاتحين.. حرقوا المدن، وقتلوا الرجال والنساء والأطفال،

obeikandl.com

وأهلكوا الحرث والنسل، ولم يتركوا شجرة إلا اقتلعوها، ولا شاة أو بقرة إلا أبادوها.. ادرسي التاريخ جيداً يا هيلاري! إنه يقول: إن فلسطين هي أرض الكنعانيين العرب منذ أكثر من أربعة آلاف عام، وإنما جاءها اليهود مستعمرين، لم يمكثوا فيها أكثر من سبعين عاماً؛ خرجوا بعدها مدحورين، وعادت لأصحابها العرب. فهل يسوِّغ لهم استعمارها العابر امتلاكها إلى الأبد؟!

قالت هيلاري: لكن أجيالاً لليهود الآن ولدت في فلسطين، فهي أرضهم بحكم الولادة.

قال جيفري: صحيح أن الولادة في أميركا؛ تخول المولود جنسيتها، لكن هذه حالة اقتضتها ظروف أميركا؛ الأرض البكر التي كانت بحاجة إلى شعب بديل لسكانها الأصليين الذين أبيدوا. لكن فلسطين كانت عامرة بسكانها العرب؛ منذ آلاف السنين، فما مسوغات اقتلاعهم من أرضهم ليصبحوا شعباً بلا أرض؟!

obeikandl.com

ثمة سبعة ملايين لاجئ فلسطيني أُخرجوا من ديارهم وأموالهم بالقوة والإرهاب اليهودي بغير حق، ما زالوا يعلقون مفاتيح بيوتهم في صدورهم، وهم الأجدر بالعودة إلى بيوتهم مع أولادهم الذين ولدوا لهم في المنفى، أما أولاد اليهود في فلسطين فعودتهم مع ذويهم أمر طبيعي، مثل عودة أي مستعمر بأولاده عند تحرر البلدان المستعمرة من استعمارها.

آلاف الشباب تحاوروا مع جيفري على موقعه، وانطلقوا يحاورون زملاءهم بما اقتنعوا به.

كانت القدس وفلسطين محور مناقشاته معهم، لكن الحديث عن فلسطين كان كثيراً ما يثير أسئلة الشباب الأمريكي عن الإسلام.. كان المجتمع الأميركي قد تجاوز الأسئلة التقليدية عن المرأة: حجابها وميراثها، إلى السؤال عن العقيدة والمقارنة بين الأديان؛ فبهرهم الإسلام بعقلانيته وعلميته، وعالميته، وإنسانيته، وتسامحه، وتحليقه فوق الزمان والمكان لاستيعابهما معاً، فهو يعطي كل

obeikandl.com

جيل من الأجيال البشرية بقدر ثقافته وتطوره، كما يعطي كل شعب في أي مكان بحسب بيئته وتقاليده؛ مثل نهر هادر يتلون ماؤه الصافي يلون المجرى الذي يجري فيه.

سأله السيد هوليش الألماني الأصل عن لحم الخنزير وسر تحريمه على المسلم، فأجابه جيفري ببساطة: لا لشيء إلا لتدريب المسلم على الالتزام بالشريعة والقانون. لقد أحل الله للمسلم كل الطيبات، عدا الخمر ولحم الخنزير.. إنه اختبار أشبه ما يكون بالاختبار الذي أخضع له آدم وزوجه في الجنة ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢/ ٣٥] لم تكن الشجرة وحيدة في الجنة، لكنه القانون: هذه الشجرة بالذات لا تقربوها، فأزلهما الشيطان عنها.

هوليش: فما موقف القرآن من نظرية دارون في التطور؟!

جيفري: ليس للقرآن مشكلة مع دارون، إن هو حل مشكلته علمياً، فما تزال نظرية دارون موضع نقاش علمي؛ تتضافر البحوث العلمية والاكتشافات الأثرية على نقضها.

هوليش: فإن ثبتت علمياً؟

جيفري: لم يضق القرآن ذرعاً بها، فقد جاء في سورة السجدة من صفات الخالق أنه ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة: ٣٢/٧] ولم يقل إنه خلقه تمثالاً من طين ثم نفخ فيه الروح.

لم يواجه جيفري صعوبة في إقناع محاوريه بالإسلام بوصفه الدين الخاتم للرسالات السماوية كلها ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة: ٢/١٣٦].

obeikandl.com

ولا في شرح مبادئه الإنسانية التي تتمحور حول العدالة والحرية والمساواة، ورفضه لأي تمييز بسبب الدين أو الجنس أو اللون أو العرق أو اللسان، حتى إنه يعد الاختلاف بين الناس آية من آيات الله ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٣٠/ ٢٢]. وهدفاً من أهداف الخلق يتوسلون به للنمو والارتقاء ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١/ ١١٨-١١٩].

وعلى الرغم من ثقته بما يطرحه من أفكار مقنعة حول الإسلام لم يطلب من أحد أن يعلن إسلامه، بل كان يتركه لقراره حسب ظروفه.

المشكلة الوحيدة التي كان يواجهها جيفري هي السؤال المحير: إذا كان الإسلام بكل هذا الزخم الكبير من عوامل التقدم والتحضر، فلماذا لم يؤثر في معتنقيه؟ لماذا العالم الإسلامي متخلف؟

فيجيبهم قائلاً: لأن العالم الإسلامي قد خرج منهكاً من أعباء حضارته التي تفيأت الإنسانية ظلالها قروناً، فهو الآن يعيش - على الخط البياني الهابط لحضارته - مرحلة ما بعد الحضارة، وفي هذه المرحلة، تفقد الكلمة معانيها، وتفقد الأمة فاعليتها، وقدرتها على حماية نفسها، فتصبح نهباً لكل طامع. لكن الكلمة (المخزون الفكري للإسلام) تبقى طاقة كامنة؛ قادرة على إنتاج مفاعيلها، تحت تصرف أي أمة ناهضة تتلقف رايتها؛ فإما أن تتمكن الأمة التي خرجت منها من العودة إليها؛ تخوض بها دورة حضارية جديدة، وهو ما يحتاج منها إلى عملية مزدوجة؛ عملية تبخير تنقيها من شوائبها وأدرانها التي حملتها من دورتها الحضارية السابقة، ثم إلى عملية تقطير تضعها على رأس الشلال مذخورة بالطاقة والحيوية من جديد.

وإما تنهض بها أمة بكر؛ لم تتلوث بأدران

السقوط الحضاري، تأخذ مكانها على رأس الشلال لتوليد الطاقة الحضارية الكامنة.

والإسلام بعالميته وشموليته جاهز للعطاء وإنتاج مفاعيله في الحالين، فهو ليس حكراً على شعب من دون آخر، شعاره ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٤٧/٣٨].

والقدس، بهويتها الإنسانية العالمية الشاملة، تنتظر من يحمل الراية من جديد ليعيدها إلى بُعدها الإنساني، التي أراد اليهود احتكارها، وحرمانها من إنسانيتها.

ليست هذه هي المرة الأولى التي تعرضت فيها القدس للعدوان والاحتكار، فقد سبق لها أن تعرضت لذلك إبّان حروب الفرنجة، ورزحت أكثر من مئة عام تحت العدوان والاستلاب، فحررها صلاح الدين ليعيدها إلى بعدها الإنساني.

وها هي ذي اليوم تستصرخه من جديد..

لا تبالي من أي جنس أو دين أو لون سيكون هذا الصلاح الدين الجديد، لأنها بطبيعتها إنسانية الهوى والهوية.

وهكذا كان يعمل أعضاء الفريق كلهم مثلما عمل غيث وسارة ولطيفة وأبو بكر والمنتصر وجيفري على الحوار مع ناس كثيرين جداً.. حتى استطاعوا تكوين رأي عالمي موحد، فكشفوا زيف ادعاءات الباطل.. وظهر الحق لكل ذي عينين.. فالقدس إذن لأهلها وللناس كل الناس؛ عالمية البقعة، عربية الجنسية، للمسلمين والمسيحيين وسائر الأديان.. كل ذلك هيّأ لاجتماع عام لأعضاء الفريق لدراسة آخر مستجدات الخطة التي تواضعوا عليها منذ سنوات طويلة.. وقد اقترب على هيمنة الصهاينة على فلسطين مئة عام منذ أن أعلن عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م..